

التنمية الاقتصادية لبلدان الخليج العربي

في العصر العباسي

دكتور ابراهيم احمد العنوي

صارت الدولة العباسية في حقيقة جوهرها — منذ تأسيس بغداد — دولة خليج عربي ، وجزء لا يتجزأ من عالمه وأهله^(١) . وقد ورثت هذه الدولة عظمة دول الخليج القديمة التي سبق أن أسسها الآشوريون والكلدانيون ، وأخيراً الفرس الساسانيون وعرف العباسيون من هذا التراث الهائل الذي آل إليهم ولاعتادهم بصفة خاصة على الفرس في إدارة دولتهم أمثل السبل للنهوض بأحوال الخليج العربي وتنمية هذا المصدر الأساسي من مصادر الدخل في دولتهم . وكانت الحقيقة الهامة التي وقف عليها العباسيون من تراث للآضي أن العقبة الخطيرة التي واجهت دول الخليج القديمة والتي حالت دون سلامتها هو فشلها في تنمية موارد تلك البلاد بسبب التناحر الذي سيطر على سواحل الخليج الثلاثة والتناحر الذي ساد سكان تلك السواحل من أجل الاستئثار بأكبر قدر ممكن من ثروات الخليج لأنفسهم دون مراعاة للصالح العام^(١) .

(١) كان لتأسيس بغداد على دجلة الذي تجرى مياهه إلى الخليج العربي أثر في ربط هذه العاصمة بتجارة الشرق الأقصى في الهند والصين التي أتأتى إلى الخليج ، فضلاً عن تدفق سلم الجهات المجاورة عليها . وعبر عن ذلك مؤسس بغداد الخليفة أبو جعفر المنصور ، فقال « هذه دجلة ، وليس بيننا وبين الصين شيء يأتينا منها كل ما في البحر » ثم أضاف هذا الخليفة أيضاً عن بغداد موضحاً أنها « مشرعة للعالم » كل ما يأتي دجلة من واسط والبصرة والإبلة والاهواز وفارس وعمان واليمامة والبحرين وما يتصل بذلك فاليها تلقى وبها ترسى . انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك (المطبعة الحسينية) ج ٩ ، ص ٢٣٨ ، يعقوبي ، كتاب البلدان (ليدن ١٨٩٢ ، ص ٢٣٧) .

(٢) يعتبر الهجوم الذي قام به أكابرة الفرس على البحرين والشاطئ العربي للخليج زمن كسرى المشهور باسم سابور ذي الاكتاف نموذجاً لهذا الطمع الذي أساء إلى اقتصاديات الخليج العربي قبل الاسلام .

وانجهدت سياسة العباسيين منذ أيامهم الأولى إلى العمل على تخليص بلدان الخليج العربي من تلك الروح المدمائية والقضاء على رواسيها كذلك بين السكان اعتمدت تلك السياسة العباسية الجديدة على تنمية للموارد الاقتصادية لبلدان الخليج، ثم تنسيق التكامل الاقتصادي بينها بما يهيء لكل بلد من تفجير طاقتها الكامنة بشكل يحقق لأهلها أولاً الرفاهية والطمأنينة، ويمكن الدولة العباسية تانياً من السيادة، وأخذ النشاط التجاري للخليج العربي يستند لأول مرة في تاريخه — بفضل سياسة العباسيين — إلى زراعة واسعة وصناعة راقية أسهمت فيها كل بلد من البلدان حسب إمكانياتها وقدراتها . وغدا طريق الخليج على عهد العباسيين منطقة جذب كبرى للتجارة العالمية، تجدد في موارد بلدانه ما يثريها ويوسع مجالها. فالتجارة في كل مكان وزمان ليست إلا تاجاً لما تفيض به ميادين الزراعة من محاصيل وما تخرجه ميادين الصناعة من سلع وأدوات على اختلاف الأشكال والأنواع .

واستلزمتم تنمية للموارد الاقتصادية لبلدان الخليج العربي عودة العباسيين إلى التنظيم الإداري الساساني الذي جعل من المقاطعات البحرية المطلقة على الخليج وحدات لها كيانها المستقل عن الجهات الداخلية المجاورة لها (١) . واشتملت تلك المقاطعات البحرية على بلاد العراق التي يجري فيها القسم الأوسط من دجلة والفرات ثم اتقائهما معاً في شط العرب إلى الخليج العربي . وكذلك مقاطعتي عمان والبحرين على الشاطئ العربي للخليج ، وأخيراً مقاطعات هوزتان وفارس وكرمان على الشاطئ الفارسي للخليج . وكانت معالم هذه المقاطعات قد تعرضت بعد الفتح الاسلامي وطوال عهد الأمويين للتغيير والتبديل حسب مقتضيات الفتوح وسياسة الأمويين في دمشق . فكانت عمان والبحرين تنضم أحياناً إلى الجامة ونجد بوسط شبه الجزيرة العربية، وأحياناً

(١) لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية (ترجمة كوزكيس عواد ، بغداد ١٩٥٤ ص ١٤)
Wilson, The Persian (Gulf London 1956) .

كان وإلى الكوفة يشرف على تلك المقاطعات ومعها المقاطعات الفارسية حتى بلاد ماوراء النهر ، ولا سيما زمن الفتن التي واجهت الأمويين في العراق ، وأيام الفتوحات الأموية في المشرق أيضاً (١) .

وحدد المبسوطون منذ أيامهم الأولى معالم النظام الإداري لبلدان الخليج العربي وذلك بالعودة إلى نظام المقاطعات البحرية الذي ساد أيام الفرس الساسانيين والاحتفاظ كذلك بأسمائها وأقسامها المحلية ، التي اتفقت مظاهرها ومعالمها مع البيئة الجغرافية لعالم الخليج العربي . فظلت كل مقاطعة تنقسم طبقاً للنظام الفارسي إلى كور أو أساتين وكل كورة أو أساتين إلى رساتين وكل رستان إلى طسا سبيج وشرح الجغرافي ياقوت هذه الاصطلاحات الإدارية قائلاً : الكورة إسم فارسي بحت يقع على قسم من أقسام الاستان ، وقد استمارتها العرب وجعلتها إسمًا للاستان فالكورة والاستان واحد (٢) .

« والكورة كل صقع يشتمل على عدة قرى ، ولا بد لتلك القرى من قصبه أو مدينة أو نهر يجمع إسمها ذلك إسم الكورة كقولهم . . نهر الملك (بالعراق) فإنه نهر عظيم ، يخرج من الفرات ويصب في دجلة ، عليه تمر ثلاثمائة قرية ، ويقال لذلك جميعه نهر الملك . . » (٣) وانتقل ياقوت إلى شرح معنى الاستان قائلاً إنه في الأصل يعنى النأوى ، ثم صار الاستان والكورة شيئاً واحداً . وأوضح أن الاستان ينقسم بدوره إلى الرساتين ، وينقسم الرستان إلى الطساسبيج وينقسم كل طسوج إلى عدد من القرى . . (٤)

(١) الطبرى ، نفس المرجع ، ج ٩ ، ص ١٤٩ .

(٢) حتى ، تاريخ العرب (مول — بيروت ١٩٦٥ ، ج ٢١ ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان (القااهرة ١٩٠٦) ج ١ ، ص ٣٧ .

(٤) ياقوت ، نفس المرجع ، ص ٣٦

« وأما الرستان : فهو .. مشتق من دودنهستا .. ودوده إسم للسطر والصف والباط ، ونسنا إسم للحال .. وللعنى أنه على التسطير والتنظام . قلت : الذى عرفناه وشاهدناه فى زماننا فى بلاد الفرس إنهم يمتنون بالرستان كل موضع فيه مزارع وقرى ولا يقال ذلك للمدن كالبصرة وبندباد ، فهو عند الفرس بمنزلة الجواد عند أهل بندباد وهو أخص من الكورة والستان . » (١)

« وأما الطسوج .. فهو أخص وأقل من من الكورة والرستان ، والستان ، كانه جزء من أجزاء الكورة .. لأن الكورة قد تشمل على عدة طساسيج ، وهى لفظة فارسية أصلها تسو ، فعربت بقلب التاء طاه ، وزيادة الجيم فى آخرها ، وزيد فى تعريبها يجمعها على طساسيج . وأكثر ما تستعمل هذه اللفظة فى سواد العراق وقد قسموا سواد العراق على ستين طسوجا ، أضيف كل طسوج إلى إسم » (٢) .

ومهد العباسيون عند احتفاظهم بالنظام الادارى الساسانى لبلدان الخليج العربى على تطهيره فى نفس الوقت من عيوبه القديمة التى تجلت فى التفرقة بين سواحله وسكانها . ونجح العباسيون فى ذلك بفضل اتباعهم للنظام المركزى منذ أيامهم الأولى والذى يستهدف مراقبة العمال والاشراف الدقيق على أحوال البلاد . وساعد العباسيين على دعم هذه الخطوة انتظام ديوان البريد ، الذى اهتم به الخليفة أبو جعفر المنصور اهتماما عظيما ، واتخذة أداة لربطه بسائر أرجاء الدولة ، ومعرفة أحوال رعيته وللبادرة إلى رفع أى حيف أو غبن يقع عليها . وعبر الخليفة أبو جعفر المنصور عن الطابع الجديد الذى استهدفه من الادارة على عهده قائلا :

(١) ياقوت ، نفس المرجع ، ص ٣٧

(٢) ياقوت ، نفس المرجع ، ص ٣٨

« ما كان أحوجنى إلى أن يكون على بابى أربعة معز لا يسكون على بابى أعف عنهم فقيل له يا أمير المؤمنين ، من هم ؟ قال : هم أركان الملك ، لا يصلح إلا لهم ، كما أن السرير لا يصلح إلا بأربعة قوائم إن نقصت واحدة تداعى ، وهى : أما أحدهم فقاض لا تأخذه فى الله لومة لأثم ، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى والثالث صاحب خراج يستقصى ولا يظلم الرعية فإنى من ظلمها غنى . والرابع ثم عض على أصبمه السبابة ثلاث مرات يقول فى كل مرة آه ، قيل له من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : صاحب يريد يكتب إلى غير هؤلاء على الصحة » (١) .

ونالت بلدان الخليج العربى قدرا كبيرا من هذه العناية الادارية المباشية ، فتولى إدارة المدن الكبرى فيها عمال وفق النظام الذى تحدث عنه الخليفة للنصور ، مع آخرين تتفق مهامهم مع طبيعة تلك النواحي التجارية . وكان من هؤلاء العمال الكبار : القاضى وصاحب البريد والبندار وصاحب المعونة (٢) وساد تلك البلدان أيضا الرخاء الاقتصادى الذى سهر الخليفة للنصور على تحقيقه إذ حرص على مراقبة الأسعار باعتبارها عنوانا على الأحوال الاقتصادية والعمل على عدم ارتفاعها ضمانا لاستقرار الناس وتوفيرا لأسباب العيش الكريم لهم . فكانت ولاية البريد فى الأفاق كلها « يكتبون إلى للنصور أيام خلافته ، فى كل يوم : بسم القمح والحبوب والادم ، وبسم كل ما آكل وبكل ما يقضى به القاضى فى نواحيهم ، وبما يعمل الموالى ، وبما يرد بيت المال ، وكل حدث .. فإذا أوردت كتبهم نظر فيها ، فإذا رأى الأسعار على حالها أمسك ، وإن تغير شيء منها عن حاله كتب إلى الموالى والعمال هناك وسأل عن العملة التى تقلت ذلك عن سعره فإذا ورد الجواب بالعلة تلتطف لذلك برخفته حتى يعود سعره ذلك إلى حاله » (٣) .

(١) الطبرى ، نفس المرجع ، ج ، ص ٢٩٧

(٢) متر ، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى (ترجمة أبو ريده) (١٩٥٧)

ج ٢ ، ٢٧٣ .

(٣) الطبرى ، نفس المرجع ، ج ٩ ، ص ٣١٤

وبلغ من انتظام البريد في عهد أبي جعفر المنصور أن عماله كانوا يوافونه بذلك مرتين في كل يوم ، فإذا صلى المغرب وافوه بما حدث طول النهار ، وإذا صلى الصبح كتبوا إليه بما جرى في الليل من أمور (١) . واستطاع الخليفة أن يحقق هدفه الاقتصادي وهو توفير الرخاء للناس ، حتى قال أحد معاصريه « رأيت في زمن أبي جعفر المنصور كبشا بدرهم ، وحملا بأربعة رواق ، والتمر ستين رطلا بدرهم ورأيت ستة عشر رطلا بدرهم . والسمن ثمانية أرطال بدرهم . » (٢)

ونقلت طرق البريد المتفرعة من بغداد إلى سائر بلدان الخليج العربي صورة زاهرة عن هذا الرخاء الاقتصادي الذي سادت تلك الأرجاء ، وهزم رجال الإدارة هناك إذ دأب للعباسيون على تعيين كبار العمال في بلدان الخليج من أبناء البيت العباسي نفسه أو من كبار رجالات الدولة للشهود لهم بالولاء للبيت العباسي والقدرة على تحقيق سياسته . وغدت بلدان الخليج العربي كسعر بالترابط واللودة لأول مرة في تاريخها ، حتى صار الخليج العربي بحيرة عباسية . ينعم أهلها في ظل الإدارة العباسية بالطمأنينة ويأتيهم رزقهم رغدا .

ووصف الجغرافيون والرحالة المسلمون هذه الروح الجديدة التي سررت في بلدان الخليج العربي ، وما اقترن بها من تنمية اقتصادية واسمة النطاق إذ جعل النظام الإداري العباسي من مقاطعات الخليج العربي وحدة مترابطة أشبه بالطائر له صدر وجناحان . أما الصدر فهو مقاطعة العراق ، والجناح الأيمن ضم عمان والبحرين التي صارت مقاطعة واحدة حاضرتها البصرة في العراق أما الجناح الأيسر فانتظم مقاطعات الساحل الفارسي للخليج والتي ظلت تحمل نفس اسمائها وتمدادها القديم وهي : خوزستان وفارس ثم كرمان .

(١) Von Kromer, Orient under the Caliphs, P. 233.

(٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد (الفاخرة ١٣٤٩ هـ) ج ١ ، ص ٨٠ ؛ الجهشيارى ،

الوزراء والكتتاب (تحقيق السقا) ، ص ١١٧

أولاً : العراق أو السواد :

انتظم العراق في ظل النظام الإداري للدولة العباسية نفس المقاطعة البحرية التي أنشأها الفرس الساسانيون حين نقلوا عاصمتهم إلى المدائن من أجل السيطرة على طول الخليج العربي وعالمه (١) . فكانت بلاد العراق تعني نفس اشتقاقها اللغوي من الهلوسة وهو الأراضي الواطئة (٢) إذ جرى سهل العراق الفسيح امتداداً طبيعياً لحوض الخليج العربي نحو الشمال على شكل مستطيل منبسط ينحصر بين جبال زاغروس وكرستان من جهة الشرق وبين الهضبة الصحراوية من جهة الغرب غير أن العباسيين فضلوا أخلاق (السواد) على بلاد العراق إمعاناً في التمييز بين هذا الإقليم الخصيب الحافل بالبحار مجرى دجلة والفرات وروعها المديدة نحو الصحراء الممتدة في كل من بلاد العرب وجنوب الشام (٣) .

ووضع العباسيون لعاصمتهم بغداد نظام إدارياً يدعم روايتها مع أرض السواد باعتبارها جزء من عالم الخليج العربي . ذلك أن بغداد كانت بفضل شبكة الملاحة النهرية التي أقامها العباسيون تطل بوجهها نحو الخليج العربي وتعتبر مدينة من أهم مدنه ، ومعاملاً كبيراً في حياة الاقتصادية . ولذا حرص العباسيون في نظامهم الإداري على جعل بغداد إحدى حواضر إقليم السواد ، فضلاً عن مكائنها باعتبارها مقر الخلافة وعاصمة الدولة العباسية . فكان القسم الشرقي من بغداد حيث قصور الخلافة تحت إشراف الخلفاء أنفسهم : أما باقي أرجاء العاصمة فكانت تتبع إدارياً لمسوح بادوراياء (٤) ، أشهر نواحي العراق خصوبة وزدهارا بالزراعة .

(١) Wilson . op cit. 60.

(٢) حتى : تاريخ العرب — مطول (بيروت ١٩٦٥) ج ١ ، ص ٢١٠

(٣) ابن خردادبة ، المسالك والممالك (ليدن ١٨٨٩ ، ٦٢٥) .

(٤) الطبري ، نفس المرجع ، ج ٩ ، ص ٢٤٢ ، متر . نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٢٢٣

واقضى هذا الوضع الإدارى لبنداد ، فضلا عن نظرة العباسيين إلى العراق باعتباره أرض السواد أن تكون الزراعة والثروة الزراعية موضع الاهتمام الرئيسى للخلفاء وعملهم . واستطاع العباسيون تنمية الزراعة بالعراق عن طريقين ، أولهما تنظيم وسائل الري والثانى توسيع رقعة الأراضى الصالحة للزراعة . أما عن الأولى فكانت مجارى دجلة والفرات لا تطلب إلا شق الترع والقنوات لتوصيل المياه إلى الأراضى الزراعية . وتولى دجلة رى مساحات واسعة من الجانب الشرقى للبلاد ونحويلها إلى حقول لزراعة الحنطة والشعير والأرز . وتولى نهر الفرات رى معظم أراضى السواد ومساهمتها فى الميدان الزراعى بإنتاج حاصلات جديدة ، مثل الملس وهو نوع من الحبوب والجاروسى وهو نوع من الدخن (١) .

وتتطلب العامل الثانى وهو توسيع رقعة الأراضى الزراعية صيانة السدود والمنشآت واللبثوق . وكان هذا الأمر شاقا ، لأن أرض السواد تضررت كثيرا للفيضانات وانسباح الماء فى البطامح وتخريب الأراضى الزراعية وكانت المحافظة على السدود تتطلب بدورها سهرا مستمرا لأنها كانت شىء من القصب والتراب الذى يمجز أحيانا عن مقاومة اندفاع الماء . وكان يكفى أن ثغرة يسيرة على إحدى نواحي السد حتى يتولى الماء الهدم والتخريب فربما أفسد فى ساعة تمب سنة أو نحوها (٢) وخصص العباسيون لهذا الغرض طائفة من العمال قائمة بذاتها ، لا مهمة لها إلا حماية الجسور وتوفير السلامة للأراضى الزراعية . وإلى جانب ذلك أقيمت قناطر عديدة على مجارى الأنهار لتنظيم توزيع المياه ومنعها من تخريب الأراضى الزراعية .

(١) متر ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ٢٩٧ وصالح العلى : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة (بيروت ١٩٦٩ ، ص ١٨٦) .
 (٢) متر ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ .

وحرص العباسيون على تخفيف الأعباء عن كاهل الفلاحين وإتاحة السبل أمامهم للعمل في طمأنينة وعدالة . وكان من أهم الخطوات التي قام بها العباسيون في سلك هذا السبيل إلقاء « نظام المساحة » الذي كان معمولا به منذ عهد عمر بن الخطاب — بل من قبل ذلك زمن الفرس الساسانيين وتطبيق « نظام المقاسه (١) » ومعنى نظام المساحة أن يكون هناك خراج مقرر معين على مساحة محددة من الأرض تجتبه الدولة في كل عام — جملة أو متجزأ — دون نظر إلى ما يحدث من اختلاف كمية المحصول أو اعتبارات أخرى .. أما نظام المقاسه فهو أن تقاسم الدولة والناس ما ينتج من محصول بنسبة معينة : الثلث مثلا للدولة والثلثين للمزارعين دون اعتبار للمساحة . فيغير الخراج بطبيعة الحال بتغير المحصول الذي ينتج (٢) وجاء نظام المقاسه فائدة للفلاحين وتخفيفا للاجحاف عنهم . وقد طبق هذا النظام على جميع ما تنتجه العراق ليس فقط من الحبوب ، بل وعلى التمور والفاكهة أيضا .

وكان يزرع في العراق أنواع كثيرة من التمور ونجاحه في البصرة . وترتب على ذلك أن صارت العراق تحفل بالحبوب والفاكهة ، وغدت تجارة المواد الغذائية من أهم مصادر الثروة في البلاد فصدرت للعراق الحبوب ونجاحه إلى جهات الساحل العربي للخليج والجهات الداخلية من شبه الجزيرة العربية التي تفتقر إلى تلك المنتجات الهامة . واشتهرت بعض مدن العراق بأنواع خاصة من التجارة تتفق مع منتجاتها الزراعية ، ومن ذلك الكوفة التي اشتهل أهلها بتجارة الزيوت المستخرجة من السمسم . (٣)

صعب الانتاج الزراعى تقدم صناعى كذلك ، فاشتهرت بلاد العراق بصناعة المنسوجات الكتانية والصوفية والحريرية حتى وصفها الجغرافيون والرحالة المسلمون

(١) الماوردى ، الأحكام السلطانية (مصر ١٢٩٨ هـ) ص ١٦٨ .

(٢) ضياء الدين الرئيس ، الجزائر (١٩٦٩ ، ص ٤٣٠) .

(٣) مز ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٣٩٠ ، صالح العلى ، نفس المرجع ، ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

بأنها أكثر الاقطار الإسلامية «صوفا وقزا» (٥) وكانت البصرة أهم مراكز تلك الصناعة وإنتاج أنواع جيدة من الحز والبز . وأدى الازدهار الزراعى واللقدم الزراعى إلى قيام تجارة رائجة بالعراق ومع جيرانه كذلك . وسرعان ما ظهرت الحاجة إلى وضع كثير من التشريعات لتنظيم تلك التجارة وحمايتها من جشع التجار . إذ كان أولئك التجار يتلاعبون أحيانا في تجارة الحبوب ، وذلك بشراء كميات كبيرة وتخزينها انتظاراً لارتفاع الأسعار ثم بيعها واضطرت السلطات العباسية إلى إغراق الأسواق بمقادير من الحنطة للقضاء على مثل هذا التلاعب وأصاب تاجران من تجار الحبوب على عهد المأمون خسارة فادحة أمام بقظة الإدارة ورقابتها الفعالة . فبعد أن توفى ما يقارب مقداره عشرة آلاف درهم انخفض سعر الحبوب وخسرا ستة آلاف درهم (١) .

ووضعت السلطات العباسية الأسواق تحت مراقبة دقيقة فبعد غروب الشمس تنتهى الحركة فى الأسواق ، ويجعل التجار سلمهم إلى المخازن وتخلو الأسواق من الناس عدا الحراس . وجلس فى الأسواق رجل يسمى « القاقد » حرفة تمييز الدراهم وفحصها واكتشاف الزائفة منها . وطبقت السلطات العباسية أيضاً الشريعة الإسلامية فى المعاملات المالية بما يقضى على الربا وغيره من وسائل التحايل حتى صار البائع والمشتري يتعاملان فى ثقة وطمانينة . وحمل الفقهاء لواء البصرة العباسيين باى خلل يصيب النواحي الاقتصادية وبخاصة عن مساوىء جباة الضرائب وكان أولئك الجباة يتخذون أما كنهم على طرق للتجارة النهرية والبرية المدينة بالعراق ، وينصبون حبالا بين صفى دجلة والعرات ويوقفون السفن وتحصيل الضرائب منها حسبما تحمله

(١) المقدسى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ٦٤٥ .

(٢) متر ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٣٩٦ .

من تجارة . وكانت السلطات العباسية تبادر إلى منع أى أذى ينزل بالتجار أو الناس
ومراقبة الجباة مراقبة شديدة (١)

ونمت بلاد العراق زمن العباسيين بذلك برفاهية جملت وارداتها تزيد على
صادرناها ، فكان أهل العراق مثلاً يستهلكون كل إنتاجهم من التمر عدا أنواع جيدة
تصدر إلى الخارج . وحملت هذه الظاهرة التجارية بلاد العراق على أن تدعم صلاتها
مع بلدان الخليج العربي ، باعتبارها أقرب الأرجاء إليها ولتحصل منها على ما يسد
حاجاتها ويوفر أسباب الهناء لسكانها . وبدأت حركة التبادل التجارى فى الخليج
العربي تلقى قوة دافعة جديدة من مقر العباسيين الزاهر فى بلاد العراق .

ثانياً : ولاية الساحل العربي للخليج :

جعل العباسيون عمان والبحرين ولاية واحدة تشمل الساحل العربي للخليج ،
وحاضرتها البصرة فى أرض العراق (٢) . وكان هذا التنظيم يتمشى مع سياسة
العباسيين فى الحكم المرزى ، كما يتفق أيضاً مع الأوضاع الجغرافية والاقتصادية
للساحل العربي للخليج . فكانت البحرين كما وصفها ياقوت « اسم جامع لبلاد على
ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان » (٤) . وأوضح الجغرافى الاصطخرى طبيعة
هذا الموقع القائم بنفسه من شبه الجزيرة العربية فقال : « وأما البحرين فإنها
من ناحية نجد ومدنتها هجر ، وهى أكثر تمورا ، إلا أنها ليست من الحجاز وهى
على شط بحر فارس . . . ولها قرى كثيرة وقبائل من مصر ذوو عدد قد احتفوها

(١) متر ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ .

(٢) الدورى ، مقدمة فى التاريخ الاقتصادى العربى (بيروت ١٩٦٩) ص ٧٠ ،

صالح العلى ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(٣) حتى ، نفس المراجع ، ج ١ ، ص ٤٠٧ .

(٤) ياقوت ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٧٢ .

(٥) الاصطخرى ، المسالك والممالك (تحقيق د . أحمد جابر عبد العال - ١٩٦١) ص ٢٣

وأكل الجغرافي ابن حوقل صورة البحرين قائلاً: أنها تشمل على مدن ونواحي أهمها
« هجر والاحساء والتطيف والمقير وبشة والخرج وأوال » (٥).

ويتضح من أوصاف الجغرافيين المسلمين أن مدن البحرين ليست إلا أقسام لهذا
الساحل اشتهرت بأسماء المدن الكبرى فيها . فهجر كانت المقاطعة الرئيسية ،
واشتملت على عدة مدن صغيرة وقرى ، اشتهرت باسم أهمها وهي هجر . وكذلك
الاحساء اشتملت على امتداد من الأرض على الساحل العربي للخليج ، قامت به
مدن كان من أشهرها الاحساء نفسها التي فرضت اسمها على تلك المنطقة . وعلى هذا
التحجرت أسماء باقي النواحي التي اشتملت عليها بلاد البحرين طبقاً لتعريف
الجغرافيين المسلمين . ويبدو أن السبب في الجمع أو الخلط بين أسماء المدن والجهات
المجاورة لها ، هو أن تلك الأرجاء من الساحل العربي كانت مهبط القبائل من وسط
شبه الجزيرة العربية طلباً للإقامة بها والبحث عن أسباب العيش على ضفاف الخليج
وغدت أماكن الاستقرار تحمل أسماء لا تلبث أن يتسع مدلولها إلى ما جاورها من
النواحي ، وأحياناً يبقى الاسم علماً على المدينة التي تفوقت على ما عداها من
المدن والقرى .

وقام إلى جوار هذا الساحل عدة جزر هي التي علق بها إلى اليوم اسم البحرين
وكانت أشهر هذه الجزر هي أوال بالقرب من التطيف ، وهي في البحر «على مسيرة
يوم للريح الطيب عن التطيف وبها كروم كثيرة للنساية ونخيل وأترج
ومراعى (١) » . واشترك في هذه الظاهرة من الحياة النباتية سائر بلدان البحرين
بمناها عند الجغرافيين المسلمين . فكانت جهات الاحساء نظراً لطبيعتها تحتوى

(١) ياقوت ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٧٣ .

على موارد من المياه الجوفية تساعد على قيام نوع من الزراعة البسيطة وبخاصة في الحبوب إلى جانب النخيل . واشتهرت مقاطعة هجرس باتاجها في التمر حتى صار يضرب بها اللؤلؤ المشهور « كناقل التمر إلى هجر » (١) .

وارتبطت بلاد عمان ارتباطا وثيقا بالبحرين بسبب موقعها الجغرافي ، إذ كانت أشبه بجزيرة تحيط بها الصحراء الشهيرة بالزبوع الخالي من جانب والبحر من جانب آخر ، وهو الأمر الذي جعلها تطل على الخليج العربي وتلمس فيه بدورها أسباب العيش لأهلها ، ووصف الاصطخرى هذا الموقع الجغرافي لعمان وطبيعة الحياة فيها فقال : « عمان مستقلة بأهلها ، وهي كثيرة النخيل والفواكه الجرومية من اللوز والمان والنبق ونحو ذلك ، وقصبتها صحار وهي على البحر » (٢) . وقد أشار الجغرافيون القدامى من اليونان والرومان إلى أن عمان كانت مدلولا واسعا ، يمتد غرباً إلى اليمن وشمالاً إلى البحرين (٣) . ويبدو أن تلك الأوصاف القديمة هي دلالة على الاتصال البحري لعمان بكل من اليمن والخليج العربي ، حيث كان البحر هو السبيل الوحيد لاتصالها بالعالم الخارجي وميدان لنشاط أهلها .

وكان العباسيون بذلك موفقين في ضم كل من عمان والبحرين واعتبارها ولاية واحدة عاصمتها البصرة . وكانت وسائل الاتصال ميسورة بين البصرة وكل من البحرين وعمان بجزراً وبراً ، وكذلك المحطات على امتداد تلك الطرق ، والزمن الذي تقطع فيه تلك المسافات أيضاً . ومن ثم علا شأن هذه الولاية الجديدة بالنسبة لدورها في شبكة اللواصلات البحرية والبرية على امتداد طريق الخليج العربي . فكانت المدن التي عددها الجغرافيون المسلمون على البحرين وجزرها مراكز

(١) ياقوت ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) الاصطخرى ، نفس المرجع ، ص ٢٧ .

(٣) جواد علي ، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت ١٩٦٨) ، ج ١ ،

ص ٥٥٥ ، ٥٥٦ .

هامة للسفن وتموينها، فضلا عن اشرفها على نهاية طرق القوافل البرية عبر الجزيرة العربية،
ومن أمثلة ذلك جزيرة أوال نفسها، وميناء القطيف على ساحل الاحساء ثم ميناء صحار
ببلاد عمان .

وحبت الطبيعة الساحل العربي للخليج بمصدر هام من مصادر الثروة الطبيعية ،
كان له بدوره أثر عظيم في عملية التنمية الاقتصادية على عهد العباسيين ، اذ اشتهر الخليج
العربي بمناص اللؤلؤ والتي انتشرت أيضا في اجزاء عديدة من المحيط الهندي . غير ان
ساحل الخليج العربي عند البحرين امتاز بانتاج اجود أنواع اللؤلؤ ، والذي
تهافتت كل البلاد في الحصول عليه وبخاصة الصين بالشرق الاقصى . (١) اذ ارتكزت
جزيرة البحرين على شط اللؤلؤ العظيم الذي يتألف من تكوينات جيرية من الشعاب
المرجانية ، وتوجد على عمق قليل في مياه الخليج . (٢)

وكان العمل يجرى بنشاط واهتمام من أجل استخراج اللؤلؤ في البحرين حيث كان
لتجارة اللؤلؤ دور عظيم في بناء اقتصاد تلك النواحي . وكان الصيف هو الموسم النوص على
اللؤلؤ حيث يخرج النواصون لذلك من أول ابريل الى اخر سبتمبر . وجرى استخراج
اللاؤ على قاعدة هامة ، فكان التجار يوجرون النواصون شهرين ، ويدفون لهم أجورهم
باتظام ، وفي بعض الاحيان يدفعون لهم مبالغ مقدما ، مقابل استقلال جهدهم . وكان
للنواصون يلتقون متاعب جمّة ، لم تنزل منذ اقدم العصور ، أهمها تعرضهم لاختار
البحر (٣) .

ووصف المسعودى حياة أولئك النواصين على اللؤلؤ فأوضح انهم لا يتناولون شيئا

(١) السعدى ، مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد) ١٩٥٨ ، ج

١ ، ص ١٤٨

(٢) محمد متولى ، حوض الخليج العربي (القاهرة ١٩٧٠) ، ص ٢٧٠

(٣) متر ، نفس المرجع ، ج ٧ ، ص ٣٢٥ .

من اللحم الا السمك ، وياً كللون التمر ونحوه من الاقوات ، وتشق اصول اذانهم
 ليخرج منها النفس بدلا من المنخرين « لان المنخرين يحمل عليها شئ من الدبل وهو ظهور
 السلاحف البحرية التي تتخذ منها الاقماط ، او من القرن يضمهما كالمشقص لامن
 الخشب ووما يحمل في آذانهم من القطن فيه شئ من الدهن ، فيمصرون من ذلك الدهن
 اليسير في الماء في قعرة ، فتضئ لهم بذلك في البحر ضياء بينا ، واما يطلبون به اقدامهم
 واسواقهم من السواد خءفا من بلع دواب البحر اياهم وبنفورهم من السواد
 وصياح الغناسة في قعر البحر كالكلاب وخرق الصوت الماء فيسمع بعضهم صياح
 بعض (١)

ووصف الرحالة الجغرافيون اهمية هذا اللؤلؤ وتجارته بالنسبة للبحرين ، فقال عنها
 ناصري خسرو « والبحرين ايضا اسم لمدينة هامة ، تحيط بها مزارع النخيل وتمارس عملية
 الغوص على اللؤلؤ في بحر البحرين ، ونصف اللؤلؤ التي يخرجها الغواصون تخص
 زعماء الاحساء ، وكان اصطول الصين يخرج في عدة مراتك تحمل الغواصين ، ويتقدمهم
 القائد ، فاذا وجد شيئا القى مراسى سفينته ، والقي الاخرون مراسى سفنهم حوله ،
 ثم يستعد الغواصون بملابسهم . وياخذ كل منهم سكيناً ومخلواً ، ويقعد على حجر مربوط
 في حبل يمسكه المساعد به وينزل الى قعر البحر ، واذا اشار احد الغواصين بتحريك حبله
 جذبه الى السطح (٢)

وكان اللؤلؤ يفرز بواسطة غرابيل ثلاثة متفاوتة اتساع الخروق ، بعضها فوق
 بعض . وتعتبر احسن أنواع اللؤلؤ المستدرة تمام الاستدارة . وقد اشتد الطلب على
 لؤلؤه والبحرين زمن المباسيين لقلتها كما كان يستخرج من النواحي الاخرى بالمحيط الهندي

(١) السعدي ، قس المرجع ، ج ١ ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٢) متر ، قس المرجع ، ص ٣٢٠ .

فضلا عن جودتها . وكثير تهريب اللؤلؤ الى البحرين ، وحق ان التجار الاجانب الذين قصدوا الصين كان من عادتهم ان يخبثو اللؤلؤ في بطائن ملابسهم أو مقابض مظلاتهم ، هربا من دفع المكوس . (١)

واشتهرت ولاية البحرين بنوع من الصناعات الوطنية البسيطة الى جانب تجارة اللؤلؤ وكان اهم تلك الصناعات هي صناعة نوع من من الفوط التي اشتهرت بها الاحساء ، وزاد الطلب على فوط الاحساء ، وصارت تصدر الى البصرة بصفة خاصة ، حيث عاصمة ولاية عمان والبحرين . وجرت عملية الصفقات التجارية في البحرين على نطاق واسع ، وبمقادير كبيرة . وأعد من اجل ذلك قفاف (سلال او أ كياس) تزن كل منها ٦٠٠٠ درهم ، تعتبر الوحدة التي يتم بمقتضاها البيع والشراء ، فاذا ماتم الاتفاق على سلعة من السلع تقوم بما يبادل ثمنها من تلك القفاف . ولم يكن مسموحا بتصدير هذه النقود حفظا لموارد الولاية (٢)

واستطاعت عمان والبحرين ان تسهم بمقدار كبير في دخل الدولة العباسية فذكر قدامه بن جعفر أن خراج هذه المقاطعة بلغ في ميزانية سنة ٢٣٧ هـ / حوالي ٥١٢.٠٠٠ دينار (٣) . وشهد هذا المقدار على مدى التراء الذي تدفق على ولاية عمان والبحرين ، إذ كان هذا الخراج هو الفائض عن حاجة المقاطعة بمد سداد نفقاتها ورواتب عمالها جريا على المادة التي سار عليها بيت المال المركزي في الدولة الاسلاميه .

(١) متر ، نفس المرجع ، ص ٣٢٥ .

(٢) Wilson, op cit, P.88.09.

(٣) قدامه بن جعفر ، نبذه من كتاب الخراج (لندن ١٨٧٩ ، ص ٢٤٩) -

شهدت مقاطعات الساحل الفارسي للخليج تطوراً هاماً في العصر العباسي أدى إلى دعم الطابع العربي للخليج ، وإعطائه الشخصية التي جعلته حرياً أن يدعى باسم الخليج العربي . وكان قوام هذه الظاهرة هو استقرار القبائل العربية التي تدفقت منذ الفتح الإسلامي زمن الراشدين والامويين على بلاد فارس ، وتطور كثير من المعسكرات الحربية إلى أماكن دائمة ومدن زاهرة . وكانت هذه الظاهرة من أهم المميزات التي سادت الخليج العربي في العصر العباسي ، وجملته يدخل في مرحلة جديدة من مراحل تاريخه ونشاطه . ذلك أن الفرس الساسانيين برغم سيادتهم أحياناً لبعض السواحل العربية للخليج ، لم يترتب عليه هجرة فارسية إلى تلك السواحل أو تغيير في بنائها البشرية . ولكن الهجرات العربية القديمة التي دأبت على الانتقال إلى الساحل الفارسي للخليج وجدت في الفتوحات الإسلامية حافزاً ودافعاً ، وأخيراً وجدت في العباسيين سنداً وسبيلاً للاستقرار وإضفاء الطابع العربي بدوره على تلك السواحل الفارسية ، حتى غدا الخليج العربي الوجه واليد واللسان .

وكانت أهم خطوات العباسيين هو أنهم أتاحوا في ظل نظامهم الإداري السبيل أمام العرب للانتقال من حياة المعسكرات والفتوح إلى حياة التفاعل في المدن والأشغال بشق الأعمال الزراعية والتجارية . وترتب على ذلك امتزاج العرب بأهالي مقاطعات الساحل الفارسي للخليج والاشتراف معاً في عجلة التنمية الاقتصادية وبناء التسامح الاقتصادي بين سائر أرجاء الخليج وبلدانه . فكان عصر العباسيين هو عصر الحضارة العربية وبناء أركانها وبخاصة في الميادين الاقتصادية ، وخلق الوسائل التي تمكن لجميع أبناء الدولة على اختلاف أجناسهم التماون فيما يحقق لهم الاطمئنان والاستقرار واقتسام أسباب الرزق عن عدالة في التوزيع وكفاية في الإنتاج .

الأهواز (خوزستان) :

وتجلت في مقاطعة الأهواز أولى مظاهر هذا التطور الجديد في الساحل الفارسي للخليج ، من حيث تعريبه وتنمية موارده الاقتصادية . وتقع هذه المقاطعة شرق العراق ، حيث تتلاقى في حدودها مع كورة واسط . وأطلت هذه الولاية على رقعة من الركن الشمالي الشرقي للخليج ، تمتد مياهها حتى مياه البصرة والأبلة (١) ، واشتهرت تلك المقاطعة بزراعة قصب السكر وسميت من أجل ذلك باسم خوزستان (٢) ، أى ولاية القصب . غير أن الاسم الذى شاع زمن العباسيون هو ولاية الاهواز لسبب إلى أكبر مدنها وهى التى اشتهرت بسوق الاهواز (٣) . إذ تدفقت القبائل العربية على تلك المدينة وغيرها من مدن المقاطعة ، وصارت مراكز استقرارها علما يميز تلك الولاية كلها . وأخيرا صارت تعرف باسم عربستان أى أرض العرب لكثرة القبائل العربية التى استقرت بها (٤) واتخذتها مأوى لها .

وساعد على تعريب الاهواز حتى اشتهرت باسم عربستان هو جوارها المباشر للعراق وسهولة اتصالها بأرضه جغرافيا وبشرىا واقتصاديا . ووصف الاصطخرى تلك المظاهر الجغرافية الطبيعية والبشرية قائلا : « وليس بجميع خوزستان جبال ولا رمال إلا شئ يسير والباقي من خوزستان كأنه أرض العراق . .

(١) بن حوقل ، نفس المرجع ، ص ٢٢٥ ، لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٦٨ ،

٢٦٩ .

(٢) المقدسى ، نفس المرجع ، ص ٤٠٥

(٣) ياقوت ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٣٨٠ .

(٤) على نمطه الحلو ، الأحواز (عربستان) بغداد ، ج ١ ، ص ٢١٧

وأما ترابها فإن ما بعد عن دجله إلى ناحية الشمال أبيض وأصح ، وما كان إلى دجلة أقرب فهو من جنس أرض البصرة في التسميح ؛ وكذلك في الصحة ونقاء البشرة في الناس . . . وأما لسانهم فإن عامتهم يتكلمون بالفارسية والعربية . . . وزعيم زى أهل العراق في الملابس من القمص والطبالة والمعائم (١) .

وانتقلت القبائل العربية بذلك من العراق إلى أولى مقاطعات الساحل الفارسي فالتابعين دون أن نجد فارقا جغرافيا أو بشريا ، فنبت على تلك الأنحاء من الأهواز الأشجار من النخيل ، ولأهلها « عامة الحبوب من الحنطة والشعير والباقلان ، وأكثر حبوبها هو الحنطة الشعير والأرز فيخرجونه ، وهو لهم قوت ، وكذلك في رستاق العراق . (٢) » .

وقد لقيت الأهواز من العباسيين نفس العناية التي لقيتها أرض السواد من حيث تنظيم وسائل الري . وكان يجري في الأهواز نهر قارون الذي سماه المسلمون باسم دجيل ، وكان الشبه بينه وبين دجلة والفرات قويا من حيث جريان مياهه وانسيابها قرب للصب وضرورة الاهتمام به كوسيلة من وسائل الري والواصلات كذلك .

وحافظ العباسيون على تراث الساسانيين هناك من أجل النهوض بدجيل واستثمار الأراضي الزراعية حوله . وكان على هذا النهر مدينة تستر التي شيد عندها سابور سدا اشتهر باسم « الشاذروان » . وكان « امتداده بقرب من ميل قد بنى بالحجارة كله حتى تراجع الماء فيه ، وارتفع إلى باب تستر » ذلك أن الهدف من هذا السد هو الحصول على المياه المخزنة خلفه للري . ولذا أقيم خلف السد ثلاث قنوات عليها فتحات

(١) الاضطخري ، نفس المرجع ، ص ٦٢ — ٦٣ .

(٢) الاضطخري ، نفس المرجع ص ٦٣ .

لتنظيم تدفق المياه فيها إلى الأراضي الزراعية . وصارت المدينة بذلك محاطة بمحاذيق الأعناب والبرتقال والتخيل ، فضلا عن أن الأراضي صارت خصبة جدا « لدرجة أن كل ما تحتاجه الأرض هو حراثة على الحجير وتنمو فيها الذرة والقطن وقصب السكر بشكل ممتاز أو تكاليف ذلك دائما رخيصة » (١) .

ويجربى من ناحية تستنهر آخر عرف باسم السرقان وصفه الاصطخري قائلا : « تجرى فيه السفن العظام ، وقد ركبتة أنا من عسكر مكرم إلى الاهواز ، والمسافة ثمانية فراسخ . فسرنا في الماء ستة فراسخ . . ولا يصنع من هذا الماء شيء » وإنما تسقى به أراضى قصب السكر وما في أضعافه من للتخيل والزروع . وما بخوزستان كلها على كمال عمارتها بقعة هي أعمر وأزكى من السرقان (٢) « وقام إلى الجنوب من كستر على بعد ستين ميلا تقريبا مدينة الاهواز التي اشتهرت باسم سوق الاهواز وإليها نسبت للقاطعة زمن العباسيين . واستمدت هذه المدينة شهرتها من موقعها الممتاز الذي جعلها مركزاً تتجمع به متاجر شتى أرجاء للقاطعة ، ثم تنقل منها بعد ذلك إلى النصير وبخاصة إلى البصرة بالمراق . (٣)

وكانت صادرات الاهواز تكشف عن قدر كبير من القيمة الاقتصادية في شتى الميادين الزراعية والصناعية . وقامت صناعة السكر على المنتجات الزراعية لهذه المقاطعة ، واشتهرت مدينة جندريسا بور بانتاجها من السكر الذي حمل إلى شتى البلاد (٤) . غير أن صناعة الحرير كانت من أقدم وأشهر الصناعات يبلد الاهواز زمن العباسيين ، وتنقل من مدنها إلى سائر الأرجاء . فاما كستر « فان بها يتخذ

(١) الاصطخري ، نفس المرجع ، ص ٦٤ - ٦٥

(٢) الاصطخري ، نفس المرجع ٦٢ - ٦٣

(٣) المقدس ، نفس المرجع ، ٤١٠

(٤) الاصطخري ، نفس المرجع ، ص ٦٣

الديباج الذى يحمل إلى الدنيا ، وكسوة مكة من الديباج يتخذها ، وبها للسلطات طراز . وأما السوس فإنه تعمل بها الخزوز ومنها تحمل إلى الآفاق ... وبقرقوب السوس مجرد الذى يحمل إلى الآفاق (١) .

وأشار الجغرافيون والرحالة إلى ظاهرة طريفة ، وهى أن صناعات كرمان اشتهرت بنهات الأسواق عليها حتى لجأ للكثيرون إلى تقليدها ، أو وضع علامة مدن كرمان التجارية على بعض اللسوجات ، مثل صناعة مدينة كذا ، من باب التحايل وتصريف السلع . فقال الاصطخرى عن مدينة بصرى بالأهواز أنه تعمل بها الستور : « التى تحمل إلى الآفاق ، المكتوب عليها عمل بصرى ، وقد تعمل بيرذون وكيلوان وغيرها من تلك المدن ستور يكتب عليها بصرى وتدلس فى ستور بصرى ٠٠٠٠ ونهر تبرى تكون بها ثياب تشبه ثياب بفسداد ، وتحمل إلى بفسداد فتدلس بالبفسدادى وتفسر ببفسداد^(٢) » ونشير عبارة الاصطخرى الأخيرة إلى التجاء أهل الأهواز بدورهم إلى تقليد صناعات العراق وأن التكامل الاقتصادى كان قائماً بين سلع كل منهما بطرق مشروعة وغير مشروعة كذلك .

وصارت الأهواز بذلك ، وهى أولى مقاطعات الساحل الفارسى ، حلقة وثيقة الاتصال ببلاد العراق ، وتكامل الروابط بين سائر بلدان الخليج على عصر العباسيين . ودعم هذه الروابط لتيسير أسباب المواصلات بين الأهواز والعراق ، والمناسبة بالطرق اللؤدية إلى كل منهما . واشتهر من الأهواز إلى العراق طريقتين عظيمين : أحدهما إلى البصرة ثم إلى بفسداد ، والآخر إلى واسط ثم إلى بفسداد . وحددت كتب الجغرافيين

(١) الاصطخرى ، نفس المراجع ج٢ ، ص ٦٤ . ابن حوقل ، نفس المرجع ص ٢٣١

(٢) الاصطخرى ، نفس المرجع ، ص ٦٤ .

بولسالك معام هذين الطريقين^(١) ، مما يدل على نشاط حركة التبادل التجارى بين مقاطعات الخليج فى ظل الادارة العباسية وحزمها ويقظتها .

مقاطعة فارس :

امتدت مقاطعة فارس من الأهواز شرقا ، وشملت تقريبا كل الساحل الشرقى للخليج حتى مشارف مضيق هرمز^(٢) . واشتهرت هذه المقاطعة فى التاريخ بستعتها وثراتها وأنها مهد الأكاسرة الذين أسسوا امبراطورية الفرس قبل الميلاد وبعدة . وقد أطلق اليونان القدامى اسم هذه المقاطعة على جميع البلاد التى خضعت للأكاسرة ، وصارت علما على دولة الفرس لدى جيرانها وفى كتب التاريخ كذلك . غير أن أكاسرة الفرس حرصوا على الاهتمام بهذه المقاطعة والاقامة فى عاصمتها اصطخر يستمدون منها مقومات سلطانتهم وقوتهم . ولكن بقيام الفرس الساسانيين على العرش انتقلت العاصمة من اصطخر إلى المدائن على دجلة^(٣) ، حيث صارت بلاد ما بين النهرين هى قاعدة طريق الخليج العربى وحنفة الربط بين سواحله الثلاث وما يطل عليها من منافذ تجارية .

وتابع أكاسرة الفرس الساسانيين من المدائن سياسة الاهتمام بمقاطعة فارس حيث حرص كل واحد منهم على جعلها مدداً يرودهم بالتراء ويمرز سلطانهم الجديد فى بلاد ما بين النهرين . وتجلى ذلك فى تقسيم تلك المقاطعة إلى خمسة كور كبرى ، خص الأكاسرة كل منها بالمشاريع الزراعية والصناعية العظمى ، ووضعوا الانتاج الزراعى

(١) ابن خرداذبه ، نفس المرجع ، ص ٦٠ ، ٦١ .

ابن حوقل ، نفس المرجع ، ص ٢٣٢ .

(٢) ابن حوقل ، نفس المرجع ، ص ٢٣٤ .

(٣) ارثر كرستينس ، ايران فى عهد الساسانيين (ترجمة تيجى الحشاب) ص ٨٢ ، ١٠٥ .

والصناعى فى خدمة تجارة تلك المقاطعة على الخليج (١) . وعندما أعتلى العباسيون العرش ورثوا هذا التراث الهام فى مقاطعة فارس ، ولم يجدوا أمامهم من سبيل سوى الاحتفاظ بأوضاعها وتقسيمها الإدارى كذلك ، ضمنا لاستمرار دورها كإحدى المقاطعات البحرية الكبرى على الخليج .

واحتفظت مقاطعة فارس بذلك بمقوماتها الاقتصادية على عهد العباسيين ، وأخذت تتطلق مرة أخرى فى ميدان الازدهار والتقدم الاقتصادى . وساعد على ما فعلت به من انطلاق وثاب فى تلك الميدان ظاهرة استقرار القبائل العربية على نحو ما حدث طوال العصر العباسى على الساحل الفارسى للخليج ، وازدياد تعريبه وتحول مراكز الجيوش العربية بفارس إلى مدن زاهرة أيضا . ولقيت مقاطعة فارس اهتماما كبيرا من العباسيين بسبب طبيعة أرضها الجغرافية . فكانت تلك المقاطعة تمتد على ساحل الخليج امتدادا طويلا بسبب مزاحمة سلاسل جبال زاغروس لأرضها ، حتى صارت مقاطعة فارس « بلد إلا وبه جبل ، أو يكون الجبل منه بحيث تراه إلا اليسير » (٢) .

وفرضت هذه هذه للظاهرة الجغرافية على القبائل العربية أن يتركز استقرارها على النطاق الساحلى لمقاطعة فارس وما جاوره من جهات معينة من سفوح الجبال . ذلك أن مقاطعة فارس انقسمت قسمين متباينين ، على نحو ما وصفها به الجغرافيون للسلمون ، وكما اشم به فعلا مناخها ، القسم الأول الجنوبى فهو كما سماه الجغرافيون للسلمون « جروم » أى مناخ المناطق المدارية الحارة ، والقسم الثانى الشمالى فهو « صرود » أى للنواح الباردة . « فأما الصرود فإن منها أما كن يبلغ من شدة البرد فيها ألا يلبث عندهم شيء من الفواكه سوى الزرع كالأرد . . . وأما الجروم فإن

(١) ابن حوقل . نفس المرجع ، ٢٣٦ .

(٢) اصطخرى ، نفس المرجع ، ص ٦٧ .

يها ما يبلغ من شدة الحر في الصيف الصائف ألا يثبت عندهم شيء من الطيور من شدة الحر (١) . وترتب على ذلك ترك استقرار العرب في الجهات المعتدلة على الساحل لقربها من البحر، وكذلك في الجهات الواقعة بين الجروم والسرود لاعتدال مناخها أيضا . وصارت جبال زاغروس تمثل الحد الذي وقفت عنده العروبة وتركت مقاطعة فارس الساحلية تدخل في نطاق التمريب الذي استقرت مظاهره على امتداد الخليج زمن العباسيين .

وعلا شأن كثير من العرب الذين استقروا في مقاطعة فارس ، وغدت لهم أسر عريقة ، ربطوا نسبها بالهجرات العربية قبل الإسلام إلى الساحل الفارسي للخليج ، إيمانا في الاعتزاز بموطنهم الجديد وسلطانهم هناك . وامتزج أولئك العرب بالسكان المحليين في مقاطعة فارس مما أتاح السبيل لكثير من الأسر للفارسية أن تعتنق اللسان العربي وتشارك مع العرب المستوطنين في دعم اقتصاد مقاطعتهم وتنميته باعتباره ملكا مشتركا للجميع . وشرح الجغرافي الاصطخرى في إسهاب هذه الظاهرة الهامة فقال :

« والعرب الذين توطنوا فارس وصاروا من أهلها . . . فهم آل عمارة ويعرفون بالجلندي ، ولهم مملكة عريضة وضياع كثيرة وقلاع على البحر بفارس متاخمة كرمان ويزعمون أن ملكهم هناك قبل موسى عليه السلام . وأن الذي قال الله هز وجل (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) هو الجلندي . وهم قوم من أزد اليمن ولهم إلى يومنا هذا منصعة وبأس وعدد . . وإليهم أرساد البحر وعشور السفن . . . ومنهم آل أبي زهير المديني ينسب إليهم ابن زهير ، وهم من سامة بن لؤي

(٢) الاصطخرى ، نفس المرجع ، ص ٨٢

ابن حوقل ، نفس المرجع ص ٢٥٢

ملوك ذلك السيف ، ولهم منعه وعدد وجعفر بن أبي زهير القتي قال فيه
الرشيد وقد وفد عليه في ملوك فارس : لولا طرش به لاستوزرتة ومنهم آل
حنظلة بن تميم من ولد عروة بن أديه الدين عبروا من البحر إلى فارس في أيام
بني أمية بعد قتل عروة بن أديه فسكنوا اصطخر ونواحيها وملكوا الأموال الكثيرة
والقرى النفيسة . وكان منهم عمرو بن عيينة ، وبلغ من يساره أنه ابتاع بألف ألف
درهم مصاحف فوقفها في مدن الإسلام (١) .

وترتب على انتشار العرب بفارس شيوع اللسان العربي والتدوين باللغة العربية
حتى أن أهالي فارس المحليين احتاجوا إلى من يفسر لهم اللغة الفهلوية التي دونت
بها « كتب المعجم وأيامهم ومكاتبات الجبوس فيما بينهم » (٢) ونبغ كثير من أهل
فارس في اللغة العربية ، اشتهر منهم عبد الحميد بن يحيى ، وعبد الله بن المقفع وكان
فارسيًا أقام بالبصرة ، وسيديويه « وكان مقبًا بالبصرة ، ويقال أنه من أهل اصطخر
فاقام بالبصرة وله (الكتاب) المنسوب إليه في النحو » واعتمد الباسيون على
كثير من أهل فارس في إدارة دولتهم الجديدة لاجادتهم اللغة العربية وسائر فنون
الأعمال الإدارية والسياسية . وشرح الاصطخرى هذه الظاهرة الهامة في تطور
مقاطعة فارس فقال : « والفارس هم شحنة دواوين الخلافة والعمال الذين بهم قوام
السياسة ، من الوزارات وسائر أعمال الدواوين ، منهم البرامكة وآل ذوى الرئاستين
وإلى يومنا هذا من المادرائيين والفريبيين وسائر شحنة الخلافة من الأولاد الفرس
وبفارس قوم يقال لهم أهل البيوتات ، يتوارثون فيما بينهم أعمال الدواوين ، منهم آل
حبيب ، وكان مشايخهم مدرك وأحمد والفضل بنو حبيب وأصلهم من كام فيروز ومنشؤم

(١) الاصطخرى ، نفس المرجع ، ص ٨٢

(٢) ابن حوقل ، نفس المرجع ، ص ٢٥٣

عيراز ، قطنوها وتقلدوا الأعمال الجليلة الشريفة وكان المأمون الخليفة استدعى مدرك
بن حبيب إلى بغداد للحساب وغيره من وجوه الخدمة ، وحظى عنده وقرأ عليه
ومات ببغداد أيام المتصم . وآل أبي صفية من موالي باهله ، منهم يحيى وعبد الرحمن
وعبد الله بنو محمد بن اسماعيل ، ناقة توطنوا بها في زمان المأمون وتقلدوا أعمال
الديوان بها . وأما آل الرزبان بن ازادية فانهم كانوا من أهل شيراز . فمؤلا مع آخرين
لم نذكرهم أهل بيوت يتوارثون هذه الأهمال (١) .

وغدت شيراز عاصمة مقاطعة فارس مرآة لهذا التعريب الذي ساد تلك المقاطعة
البحرية ، فكانت هذه المدينة في الحد بين الجروم والسرود ، أى في المنطقة المعتدلة
بمقاطعة فارس ، والتي أحبها العرب . وكانت هذه المدينة ممسكرا للمسلمين حين
اتجهوا لفتح اصطخر ، وبنائها القائد محمد بن القاسم بن أبي عقيل بن عم الحجلاج .
وسميت هذه المدينة بشيراز تشبيها لها بجوف الاسود ، وذلك أن عامة المير بتلك
النواحي تحمل إليها ، ولا تحمل إلى مكان (٢) « وحافظ العباسيون على تلك المدينة
وجملوها عاصمة لمقاطعة فارس وعنوانا على العهد الجديد الذي ساد الساحل الفارسي
للخليج . إذ تابع العباسيون سياسة الاهتمام بمقاطعة فارس وتنمية مواردها
الاقتصادية وتشجيع حركة التجارة والملاحة بها . ونعمت مقاطعة فارس بمدد من
من الأنهار التي تتدفق مياهها من الجبال إلى الخليج ، وعدد ابن حوقل تلك الأنهار
قائلا : « وأما أنهارها الكبار التي تحمل السفن إذا اجريت منها فانها نهر طاب ونهر
شيرين ونهر الشاذكان ونهر درخيد ونهر الخوبدان ونهر رسي ونهر سكار

(١) الاصطخرى ، نفس المرجع ، ص ٨٨

(٢) ابن حوقل ، نفس المرجع ، ص ١٤٥ ، ٢٥٦

المقدسي ، نفس المرجع ، ص ٤١١

ونهر جرعيق ونهر كر ونهر فرداب ونهر برزه فهذه العروقة المشهورة (١).

واستلزم الاستفادة من مياه تلك الأنهار للرى وبخاصة في الجهات المرتفعة القريبة من الجبال نظاما خاصا في بناء السدود والقناطر ، فكانت تعمل في جوف الأرض قنوات معقودة عليها قناطر ، وقد يبلغ طول القننوات خمسين كيلو مترا واحتاج هذا التنظيم إلى مهارة كبيرة ، فكان على القائمين أن يالجوا الطبقات الأرضية التي يمرى عليها الماء ، كما كان عليهم أن يجمعوا لهذه الطبقات ميلا يساعد الماء على سرعة الجريان عند ازدياده (٢). واشتهرت كور فارس بذلك بوفرة الإنتاج الزراعى وبخاصة منتجات كل من للناطق الحارة والباردة مما ، مثل النخيل والكروم والزيتون والجوز والأترج (٣) . وانتشرت في مقاطعات فارس زراعة الحدائق والأهور ، وعلا شأن بعض نواحيها مثل ناحية النوبندجان التي عاش بقرها شعب بوان « ويكون مقدار فرسخين قرى ومياها متصلة ، فقد غطت الأشجار القرى حتى لا يكاد يراها الإنسان إلا أن يدخلها ، وهو أزه شعب بفارس » (٤) .

واشتهرت مقاطعة فارس أيضا بكثرة الراعى على سفوح الجبال وسهولة انتقاله الرعاة عليها صيفا إلى الجهات العليا ، وشتاء إلى الجهات السفلى. وتشابهت حياة أولئك الرعاة مع حياة البدو للعرب ، حتى أنهم « دعوا الانتساب إلى أصول عربية . وأشار إلى ذلك ابن حوقل قائلا : عن مناطق أولئك الرعاة « ويخرج من الحى

(١) ابن حوقل ، نفس المرجع ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٢) متر ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٣) المقدسى ، نفس المرجع ، ص ٤٣٤ .

(٤) ابن حوقل ، نفس المرجع ، ص ٢٤٨ .

ألف فارس، وأكثر وأقل ينتجعون في الشتاء واليهيف المراهي والصابغ واللحاني .
ويضم ابن دريد أنهم من العرب، وأن أكثرهم من ولد كره بن مرد بن عمرو بن عامر
في حماسته . وأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد عن يعقوب بن عامر العرب واخبارها
يحتاج بقوله ويسلم له ما يدعيه من هذا الباب وغيره « (١) » .

ونمت أرض فارس بثروة معدنية أضافت إلى بهاها الزراعي والرعي . وعدد
الاصطخري أنواع تلك للمادن ، فذكر « ويكون بأرض فارس عامة للمادن
من الفضة والحديد والالانك والكبريت والنفط ، وإشياء ذلك مما يستقل به أهلها
عما يكون في سائر الأقطار . إلا أن الفضة بها قليلة بناحية يزد بموضع يعرف بنائين
ولا أعرف بها معدن الذهب . ومعدن الصفر بالسردان يوصل منها إلى البصرة
وسائر النواحي والحديد يرتفع من جبال اصطخر ، وبقرية من كورة اصطخر تعرف
بهدارا مجرد معدن الزئبق « (٢) » .

وقامت على هذه الثروة الزراعية والطبيعية نهضة صناعية باهرة في مقاطعة فارس
جعلت من الساحل الفارسي للخليج مصدرا هاما من مصادر التجارة الإسلامية
على عهد العباسيين . واشتهرت مقاطعة فارس بمرآة صناعة اللسوجات من الكتان
وصناعة البسط وصناعة الروائع العطرية . واشتهرت مدينة كازرون بصنع ثياب الكتان
حتى أنها كانت تسمى « دمياط الأعاجم » لاستيرادها للكتان من مصر أحيانا

(١) ابن حوقل ، نفس المرجع ، ص ٢٤٠

(٢) الاصطخري ، نفس المرجع ، ص ٩٣

(٣) ابن حوقل ، نفس المرجع ، ص ٢٦٢

ولطريقة صنعهم من هذا أيضا (١) . ولم تلبث كازرون أن صارت مركزا هاما لهذه الصناعة ونشاطها كذلك ، بفضل صلاحية البيئة الجاورة لها من مياه الأنهار . فكان السكان يبل في البرك القريبة من المدينة ثم يفصل بضه عن بعض ويشزل . ثم يضل خيوطه في ماء نهر الرهبان ، وماء هذا النهر وإن كان قليلا شحيحا فإن له خاصية ببيض خيوط الكتان ، مع أنها لا تبيض في غيره من الماء (٢) .

وارتبط بتلك الصناعة نشاط تجارى عند أهل كازرون . وتولى تلك التجارة جماعة من السامرة يأخذون الأقمشة ، ويحتمون اللائف قبل تلميمها للتجار الأجانب وكان هؤلاء التجار يتقون بالسامرة ، ويشترى اللائف من غير أن يفكروا جبالها ، بل يأخذونها كما هي . وكانت إذا وصلت اللائف إلى أي بلد اعترافها التجار من غير أن يفتحوها واكتفوا بمجرد السؤال عن شهادة السامر بكازرون . وكثيرا ما كان يحدث أن يتقل الحمل من لائف كازرون ، حتى تتداوله عشرايه ، من غير أن يهلك وثاقه (٣) .

وعلا شأن مقاطعة فارس في إنتاج الفرش الصوفية ومنافستها لنيرها من تلك الصناعة بالأقاليم الأخرى . وكان أحسن البسط الفارسية يصنع في مدينة سوسن مجرد حتى صار أهلها وأعمالهم نماذج يحتذيها سائر المشتغلون بتلك الصناعة ، وعزز صناعة البسط أشتهار سوسن مجرد أيضا بالمهارة في الجمع بين الصوف وخيوط الكتان في النسج ونجيميل كل ذلك بالوشى . وحاولت بعض مدن العراق مثل قرقوب

(١) الاصلخرى ، نفس المرجع ، ص ٩٢ ، المقدسي ، نفس المرجع ، ص ٤٣٣ .

(٢) متر ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٤٣٨ ، ٣٤٩ .

(٣) متر ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٣٤٩ .

تقليد صناعة سوسنجرود ، ولكن هذه المدينة ظلت محتفظة بثقافتها الصناعية كما قاله
الاصطخري « لأن القرقوبي ابريسم ، وهذا صوف ، وتصوف أجود من الأبريسم
في الصنعة » (١) .

وراجت في مدن مقاطعة فارس صناعة روائح العطر ، والأدهان . « فامت
ما يرتفع من بلدان فارس عما ينقل إلى الأمصار ، وما يفضل في جنسه على سائر
ما يرتفع في البلدان فمن ذلك ماء الورد الذي يرتفع من جور ، فإنه يفضل في جنسه ،
وينقل إلى البحر فيفرق في الحجاز واليمن والشام ومصر والمغرب وخوزستان والجلال
ويرتفع من يزجور ما هو أجود إلا أن معظم الجهاز منه . ويرتفع بجور ماء الطلع
وماء الفيصوم الذي لا نعرفه في بلد غير جور ، وماء الزعفران الموس وماء الحلاف
الذي يفضل على جسة في سائر البلدان واختصت سابور بصناعة الأدهان وتصديره
كذلك إلى سائر الجهات واشتداد الإقبال عليها (٢) .

وانتقل الاتساع الزراعي والصناعي من مدن فارس وكورها برا وبحرا إلى
سائر بلدان الخليج ، وتدفقت بصفة خاصة على بلاد العراق ، حيث كان نصيب
الحلابة مثلا من ماء الورد قدراً هائلاً ، سجلته قوائم الخراج على عهد العباسيين
وساعد على نشاط التجارة استيلاء الأمن على امتداد الطرق وتوافر الراحة أيضا .
ووضع العباسيون نظاما لذلك ، فكان على سائر لنواحي بفارس عمال « الزموا
اقامة البزقة (٣) القوافل وحفظ الطرق » (٤) وكان أهل القرى بفارس يتسارون

(١) الاصطخري ، قس المرجع ، ص ٩٢

(٢) الاصطخري ، قس المرجع ، ص ٩٣ .

(٣) البزقة ، هي الخفارة والحراسه .

(٤) الاصطخري ، قس المرجع ، ص ٧١ .

عن يمينهم رجلا مهمته توزيع الصوف على أهل القرية ، وكانوا يسمونه الحرير ، كما اشتهر نفر من كبار رجال بيوتاتهم بإقامة الربط وإعداد أناس بها للعمل على حراة المسافرين من التجار . واشتهر أهل فارس بذلك بالتفوق في ميدان التجارة على عهد العباسيين وتقلد أئمة مقاليد الشؤون الاقتصادية في شتى النواحي ، وقد اعطوا من ذلك ، كما قال الاصطخرى « حظا جزيلًا حتى أن أحدهم اينلغ ملكه . وهم أهل صبر على العربة وحرس على جمع المال ، وفيهم اليسار ظاهرا حينما كانوا ، وما علمت مدينة في بر ولا بحر فيها قوم من الفرس مقيمون إلا وهم عيون تلك المدينة ، والقاب عليهم اليسار واستقامة الحال والمفة » (١) .

مقاطعة كرمان :

قامت هذه المقاطعة عند الطرف الجنوبي لساحل الفارسي للخليج إلى الشرق عن مقاطعة فارس . وعلا شأن كرمان بسبب موقعها الجغرافي الممتاز على للدخل للجنوبي للخليج ، وطبيعة التضاريس الأرضية هناك . ففي أرض كرمان يتأثر امتداد سلسلة جبال زاغروس ببعض التغيرات ، تجعلها تنبج إلى الشمال ، بحيث تتسع تقويس كبير من الساحل يمتد بدوره إلى مسافات عميقة بالداخل . وهذا التقويس الساحل لكرمان يختلف بذلك عن التقويس الجنوبي لمقاطعة فارس ، بحيث صار تقويس كرمان صالحا لتمو الموانئ الهامة وسيطرتها على التجارة والملاحة بالخليج العربي . ووصف الجغرافيون المسلمون هذه الظاهرة لأرض كرمان بأنها عبارة عن امتداد في حد فارس « مثل الكعك ، وفيها يلى البحر لها تقويس » (٢) .

(١) الاصطخرى ، قس المرجع ، ص ٨٤ .

(٢) الاصطخرى ، قس المرجع ، ص ٩٣ .

وزاد في أهمية هذا « المعك » أو الدخلة الأرضية لساحل كرمان وجود بعض الممرات في النطاق الجبلي ، أتاح الاتصال اللين بين الساحل وداخل البلاد . ونفذت كرمان تنم يوقع برى على الطريق إلى بلاد الهند خلال بحر بولان ، وذلك فضلا عن إشرافها على الطريق البحري ، وأضفت لطبيعتها أنشورا مزايهاها على كرمان بحيث جعلته جزءاً من ساحل عمان ينطلق كالسهم نحوها على هيئة شسبه جزيرة مسندم وخلفتها بالتالي في جوف القنوس الساحل لسكرمان مضوقاً بحمياً هاماً ، اشتهر باسم أكبر . من كرمان وهو مضيق هرموند ، وهياً هذا الضيق لسكرمان التحكم في الملاحة بين كل من الخليج الفارسي وخليج عمان ، والمساهمة في نفس الوقت مع عمان في تقوية حلقة اللواصلات البحرية مع الساحل العربي للخليج (١) .

وصارت كرمان بذلك وثيقة الصلة ببلاد العرب ، ولقيت بدورها الكثير من المهجرات العربية التي انطلقت في سهولة ويسر من عمان عبر رأس مسندم ، ودعت مظاهر التعريب على الساحل الفارسي للخليج . وركت هذه المهجرات العربية التي استقرت بدورها زمن المباسين أسماءها على جهات عديدة من كرمان وبخاصة على بعض الجزر القريبة من الساحل ، مثل جزيرة قيس ، التي يتفق اصحابها مع اسم من الأسماء العربية الشائعة . وشاهد العصر المباني تطوراً هاماً أيضاً في حياة سكان كرمان الأصليين ، إذ ظلوا على « الجوسية أيام بنى أمية كلها . . . فلما ولي الأمر بنو المباس أسلموا » (٢) وصار السبيل مفتوحاً أمامهم للمساهمة في إدارة بلادهم والدولة العباسية كذلك .

واختصت كرمان بسبب طبيعتها الجغرافية بموارد طبيعية عديدة ، كان لها شأن

(١) الاصطخري ، نفس المرجع ، ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٢) الاصطخري ، نفس المرجع ، ص ٩٩ .

عظيم في التنمية الاقتصادية على عهد الباطين . فجمعت بعض أبحاثها بين منتجات
 الجروم (الجمات الحارة) والصنوبر (البساتين الباردة) . ولكن كرمان اشتهرت
 بمنتجات صناعة بها وهي زراعة شجر النيل الذي يستعمل في صناعة اللون الأزرق ،
 وصدرت كميات كبيرة منه إلى الهند والمراة ، وكذلك ازدهرت كرمان بزراعة
 السمك الذي « يحمل منها إلى الأفاق » . وأسهمت كرمان بدورها في إنتاج القمح
 الذي صار أحد الثروات الرئيسية ببلدان الخليج العربي كلها . وكثرت التمور في تلك
 المنطقة حتى إن أصحابها لم يهتموا أحداً من الحصول على ما يريدون ، فكانت لهم
 منة حسنة ، لا يرفضون من تمرهم ما أصقطه الريح ، فيأخذونه غير أربابهم ، وربما
 كثرت الرياح فيصير إلى الضفاء من التمور في التقاطهم إياها أكثر مما يصير للأرباب .
 وانبس أهل كرمان أسلوباً تجارياً فريداً في تشجيع تجارة التمور الخاصة ببلدهم لم
 يعرف في جهة أخرى من جهات الخليج ، إذا أكلوا للعمالين كل التمور إلى آخره
 منافسة تشجيعاً لهم ، وضماناً لزيادة الدخل . ومن ثم قصد كرمان كل سنة
 مائة ألف جبل : « يدخلونها على غفلة ويكثر الزنا والفساد في هذه المواقف » (١) .

وكانت ظاهرة اشتداد الرياح على كرمان ، وإسقاطها للتمر سيلا دفع الأهالي
 إلى الإفادة منها في خلق نهضة صناعية قوية ، فنصبوا عليها أرحاء يسرونها بها
 وبخاصة زمن اشتداد تلك الرياح ابتداء من منتصف يونيو إلى نهاية شهر أغسطس .
 وكان للرحى الواحدة ثمانية أجنحة ، وتكون وراء عمودين ينفذ بينهما الهواء
 كالسهم ، والأجنحة تقوم عمودية على قائم عمودي أيضاً ، طرفه الأسفل يتركب حجرة ،
 فيدور هذا الحجر على حجر آخر . وزودت هذه الأرحاء بمنافس تعلق وتفتح
 حسب الحاجة .

(١) المقدسي ، نفس المرجع ، ص ٤٦٩ .

واشتهرت كرمان بصناعة « الفانيذ » وهو نوع من السكر الأبيض ، وصدرت منه كميات كبيرة إلى جيرانها . وأسهمت بدورها كذلك في استخراج الحديد والفضة ، حيث توافر هذان المعدنان في أرضها . على أن شهرة كرمان الصناعية بلغت أوجها في صناعة اللسوجات التي شاعت أيضاً في سائر بلدان الخليج العربي . وكان لا بد من قيام تنافس بين سائر تلك البلدان ، ومحاولة كل منها أن تتميز بنوع معين من تلك الصناعة . واشتهرت مدينة بـم بشرق كرمان بصناعة الثياب القطنية الفاخرة والتي كانت محببة إلى الناس للاءمتها للجو الحار . « وكان من طرائف ما يعمل فيها الطيالة للفسورة التي تلتج برطاف ، يبلغ الطيلسان منها المشرب الرفيع ثلاثين ديناراً . وكانت تحصل إلى أقطار الأرض وتباع بخراسان والعراق ومصر » (١) .

وعُدت ثياب بـم تتفوق على ما جاورها من صناعات البلاد الأخرى وبخاصة مدينة مرو التي كان يصنع فيها نوع من الثياب القطنية « لا يمكن أن يلبس لثقله وغلظه ، وذلك يسميه للتبي لباس القروود . ويقول أبو القاسم لقوم يهجومون : « على أبدانكم ثياب بفت ، خشن ، مروى ، غليظ ، من غزل البيت ، طاقة ضرطة ، وغزول مطابقة ، منها قصانكم ومنها عمامكم » (٢) .

وصارت مقاطعة كرمان تسهم مع سائر مقاطعات الخليج العربي في إنتاج اللسوجات الجيدة وتضع مواردها كذلك في خدمة التكامل الاقتصادي لبلدان الخليج . ونالت مقاطعات الساحل الفارسي للخليج شهرة فائقة زمره العباسيين حيث صارت تسمى « خزانة العراق » لكثرة واردات العراق من هناك . ونحتمل لبلدان الخليج العربي على عهد العباسيين رخاء اقتصادي صار نموذجاً للحضارة الإسلامية ورفاهية أهلها مادياً ومعنوياً إذ اقترن رأس المال في بلدان الخليج

(١) الاصطخري ، نفس المرجع ، ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(٢) منز ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٣٥١ .

باستثماره في ميدان الزراعة والصناعة ولشجيع حركة التجارة . ونجم عن ذلك
 اغتفال كبار التجار وأصحاب الصناعات في بلدان الخليج بتجارة الترف والنعم
 (السكاليات) التي تمنح دليلا على أن أهلها تخطوا مرحلة الضروريات إلى مرحلة
 الحياة الرغدة الهنية . وزدد صدق هذه الحقيقة في كتب الرحالة والجغرافيين
 للمسلمين الذين جابوا بلاد الدولة الإسلامية . فينصح للقدس بنصيحة يعرف بها
 الإنسان خفة ماء بلد أو ثقله فيقول : إذا أردت أن تعرف خفة ماء بلد ، فاذهب
 إلى البزازين والمطارين ، فنصح وجوههم فإن رأيت فيها الماء فاهم أن خفته على قدر
 ما ترى من نضارتهم . أما إن رأيتها كوجوه اللوق ورأيتهم مطامئ الرؤس فمحل الخروج
 منها « فالقدس يعتبر أن أقرب التجار إلى الترف والنعم هم البزازون والمطارون ،
 وهم طبقة كثر انتشارها في بلدان الخليج العربي نتيجة التنمية الاقتصادية التي سادت
 تلك البلدان على عهد العباسيين .

وسجلت لجنة الأرقام مدى رفاهية بلدان الخليج ونشاطها الاقتصادي زمن
 العباسيين . إذا أوضحت قوائم الخراج التي جاءت عن العصر العباسي أن بلدان
 الخليج العربي أسهمت بلصعب وافر في بناء ميزانية الدولة العباسية وتلك القوائم
 أربعة وهي : ١ - قائمة الجهمشيارى في كتاب « الوزراء والكتاب » ٢ - قائمة
 ابن خلدون في مقدمته - ٣ - قائمة قدامة بن جعفر في كتابه « الخراج »
 ٤ - قائمة ابن خرداذبه في كتابه « المسالك والممالك » فندت « هذه كلها وثائق
 تاريخية نادرة ، وهي تبين حالات الخراج بالتفصيل في مدى نحو نصف قرن من
 عهد الرشيد إلى عهد الواثق أو التوكل » (١) .

(١) ضياء الدين الريس ، الخراج ، ص ٥٠٩ ، ٥١٠ .

وخطاب قاعة الجمع لباري مع عائمة ابن خلدون في بيانه للنخل الدولة الباسنية
زمن الخليفة سارون الرشيد (١). وكان نصيب بلدان الخليج العربي في المراجع
للمام أو دخل الدولة الباسنية إذ ذلك كما يلي :

(١) ناقش الدكتور الريس في كتابه المراجع كلاً من قاعة الجمع لباري وابن خلدون وأثبت
أنهما ترجعان إلى عهد الرشيد ، وقد الأخطاء التي وقع فيها للؤرخون الذين نقلوا عن هاتين
القائمتين . واعتمدت لذلك على النتيجة التي وصل إليها الدكتور الريس في بحثه القيم ، وأثبت
عنه الجدول المذكور إلى أعلى بالتي عن مقدار خراج مقاطعات الخليج العربي ، أنظر الريس .
المراجع ص ١١٥ .

اسم المادة	مقدار التجبئة من الأموال	الأثمان والعروض
١ - اثمان غلات «السواد» ...	٧٨٠	٨٠ درم
٢ - أبواب اللال بالسواد ...	٨٠٠	١٤ درم
		٢٠٠ نسخة
		الطين للغمم: ٢٤٠٠ رطلا.
٣ - كوردجة ...	٨٠٠	٢٠ درم
٤ - الأهواز	٢٥ درم السكر: ٣٠ الف رطل
٥ - فارس	٢٧ درم ماء الزيت الأسود
		٢٠ ألف رطل
		الانبيقات: ١٥٠ الف رطل
		الطين السراق: ٥٠ ألف رطل.
		الزيت بالكسر
		المطاشمي ٣ أكرار
٦ - گرمان ...	٢٠٠	٤ درم لتناع البمي والصيني
		٥٠٠ توب
		العصر ٢٠ الف رطل
		السكر ١٠٠ رطل

وتتقارب قائمة قدامة التي جاءت في كتابه « الحراج » مع قائمة ابن خردادبه عن دخل الدولة العباسية^(١)، سواء من حيث الزمن أو للتقارير للبينة منها، فكل منهما تشير إلى خراج الدولة زمن الخليفة المأمون وأوائل عهد الخليفة

(١) الرئيس، الحراج، ص ٢٥٨، ٥٤٤

المتصم^(١) ويتضح منهما أن نصيب مقاطعات الخليج العربي في خراج الدولة العباسية كان على النحو التالي :

اسم الإقليم	مقدار الجباية بالدرهم
١ - السودان	٦٥٠ ٤٥٧ ١٤٧ درهم
٢ - الأهواز	٠٠٠ ٠٠٠ ٢٣٣ درهم
٣ - فارس	٠٠٠ ٠٠٠ ٢٤٤ درهم
٤ - كرمان	٠٠٠ ٠٠٠ ٦٦ درهم
٥ - البصرة والبحرين	٠٠٠ ١٥٠ ٠٠٠ درهم
٦ - عمان	٠٠٠ ٣٠٠ ٠٠٠ درهم

ويتضح من استعراض قوائم الخراج السالفة الذكر على عهد العباسيين أن التنمية الاقتصادية لبلدان الخليج العربي خلقت رأس مال ضخماً أتاح للاهالي استثماره في ميدان التجارة العالمية والسيطرة على منافيدها، فظهرت طبقة هامة من كبار التجار من أبناء الخليج العربي استطاعوا بترأسهم بث اللثة في المعاملات التجارية وتحويل نشاطها إلى الطريق الذي تطل عليه بلادهم، ذلك أن التجارة تفتقر دائماً في نشاطها برأس المال ولا تزدهر إلا في ظل حمايته وقوته .

(١) وازن الدكتور الرئيس بن هاجين القاسميين في كتابه الخراج ، ودرس الأرقام التي وردت في كلا منهما وبخاصة من إقليم « السودان » وخرج بنتائج أثبتتها في الجدول الذي أطلقه منه فيما يتعلق بخراج بلدان الخليج العربي ، على النحو للثبت بالمثل إلى أعلى .

أظهر الرئيس ، الخراج ، ص ٥٣٨ ، ٥٣٩ .

وترتب على هذه الظاهرة الجديدة في بلدان الخليج انقلاب هام في الأحوال الاقتصادية للدولة العباسية وطريق الخليج العربي كذلك . إذ أصبح للتاجر النقي هو يمثل الحضارة الإسلامية التي صارت من الناحية المادية كثيرة للطالب باعثة على الاستطالة في ذلك . وكان تجار الخليج العربي هم القادرون على توفير تلك الطالب للمادية وجلب كل مقوماتها من شتى مصادرها العالمية . ومن ثم غدت تجارة الخليج العربي في العصر العباسي من مظاهر أبهة الإسلام ، كما صارت هي السيدة في بلادها وبلاد العالم المجاور كذلك . فكانت سفن أبناء الخليج وقوافلهم تجوب كل البحار والبلاد ، حيث مصادر التجارة العالمية وأسواقها كذلك ، وجعلت الدولة الإسلامية هي للتقلد لأعنة تلك التجارة العالمية وللهيمنة على تصرفها وتوزيعها^(١) بما يحقق للعالم المعروف إذ ذاك شرقا وغربا الرفاهية والطمأنينة والاستقرار .

(١) راجع قائمة للتاجر الخاصة بهذا النشاط في كتاب :

HÜZAYYIN, Arabia and the Far East (CAIRO 1942) p. 189-214,